Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الآيات تسهم فى "تمكين الصوت وتوفيته ليمتد ويقوى فى السمع"[1]، وهى من ناحية أخرى تعد دليلاً على أن ظاهرة الوقف فى القرآن ليست ناشئة عن تدخل المتلقى فى إنتاج جمالية النص -كما قد يتبادر إلى الذهن- فالوقف خاصية أصيلة فى بناء النص القرآنى، وحرصه عليها يتفق أولاً مع ما تتطلّبه التلاوة من قطع الصوت عن الكلام زمنا يتنفس فيه القارئ ثم يعود إلى استئناف القراءة. كما يتفق ثانية مع مجىء الجملة فى غالبية الآيات منتهية نحوياً، فالحركة هنا لا مكان لها؛ ذلك أن "الحركة مظهر من مظاهر الاستمرار فى الأداء، والصمت أى الوقف يعتبر عكس الحركة تماما؛ فبينه وبين الحركة تنافر".[2] وقد ذهب القدماء إلى أن الوقف جائز فى رؤوس الآى مطلقا حتى فى حالات الوصل وذلك لقصد البيان،[3] إذ ينقسم السياق إلى دفعات كلامية، يقوم فيها الوقف بدور وظيفى فى توضيح المعنى، ففى سورة المسد -على سبيل المثال- يؤدى التسكين دورًا مهمًا إذ يحتفظ للسجعات بقوتها. ويتفق الوقف أخيرًا مع قصد تطريب الأذن بصدى الحرف، فإن ذلك الصدى لا يبين جيدًا ولا يمكن تذوقه إلا إذا جاء الحرف مستقلاً عما يمكن أن يغير من صفاته الأساسية. وقد أشار ابن جنى إلى ذلك فى كتابه "سر صناعة الإعراب"، قال: "وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتى به ساكنا لا متحركا؛ لأن الحركة تقلق الحرف من موضعه ومستقره".[4]

والشواهد القرآنية السابقة المختومة بهاء السكت تسترعى الانتباه مرة أخرى؛ فإن الهاء فيها لا يمكن عدها رويًا للسجع، وهى ليست نظيرًا لبقية الصوامت التى يمكن أن تمثل رويًا، وذلك لأن تسكينها يؤثر فى حدها الصوتى فلا يجعله ظاهرًا، وهو الأمر الذى يدعو إلى مراجعة التعريف الذى حصر منطقة الثقل السجعى فى الحرف الأخير من الفاصلة، فهذا الحصر لا يضع اعتبارًا لمظاهر الوقف المختلفة، كالوقف بالمدّ أو بالسكت ممثلا فى هائه. والواقع أن هناك لونيْن من السجع الذى

---

(١) الخصائص، ابن جنى، جـ٢، ص ٣٢٨.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص ٢٧١.

(٣) انظر: النشر فى القراءات العشر، ابن الجزيرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ص ٢٤٠.

(٤) سر صناعة الإعراب، ابن جنى، ت: مصطفى السقا ومحمد الزفزاف وإبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى الحلبى، القاهرة، ١٩٥٤، جـ١، ص ٢٧.